بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

نقرأ في القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي تتحدث عن الآخرة، من المعروف أن الإيمان بالآخرة من محكمات العقيدة الدينية، من آمن بالله وآمن بالرسول (ص) ولكنه أنكر الآخرة فهذا الشخص لا يكون مسلما، في القرآن الكريم تُذكر الآخرة والإيمان بالآخرة بطرق مختلفة وضمن سياقات مختلفة، أذكر آيات تصف المتقين: (بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيْمِ . ألم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقَنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)[2]، الإيقان باليوم الآخر يعني أن الإنسان يتيقّن بأن الآخرة هي المرحلة الآخرة هي الحياة الآخرة، وأن الإنسان يموت ثم يحشر ويحاسب على كل ما فعله في هذه الدنيا، تلك هي الحياة الآخرة

أولاً أريد أن أوضح هذه النقطة ثم أذكر أن الإنسان كيف يوقن بالآخرة؟ أشير بهذا الصدد وأذكر العوائق والموانع التي تمنع هذا الإيقان –الإيمان– بالآخرة[3]

الجنين في بطن أمه يؤهله الله عز وجل ليولد ويحيى في هذه الدنيا، هناك –في بطن الأم– كل الحالات والخصوصيات التي سوف يحتاج إليها في هذه الدنيا بعدما يولد ليست اختيارية له، فهو قد يكون معوقاً وهو بحاجة إلى رجلين، يدين، عينين وغيرها من الوسائل التي الإنسان بحاجة إليها، في تكوّن الجنين –خصوصياته وحالاته وخصاله– قد يكون هنالك دخل لتصرفات الأم –الاختيارية وغير الاختيارية– ولخصوصيات الأب –المكتسبة وغير المكتسبة–، هذا الجنين يكبر إلى أن يتهيأ للحياة في هذه الدنيا فيولد، الأشياء التي تتكون هناك من الرجلين واليدين والعينين وحتى وسائل التفكير كل تلك الأشياء لا يحتاجها الجنين وهو في بطن أمه، فهو متكل هناك على أمه، تلك الأشياء هو بحاجة إليها في هذه الدنيا التي سوف ينتقل إليها

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في ليلة الجمعة الموافق ٢٩ شوال ١٤١٥ه ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) (البقرة: ١-٤)

(3) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٢ – نبوة النبي (ص)**، فصل (**لا ريب في الآخرة**)

في دار الدنيا الطفل بالتدريج يكبر فينمو فيه العقل وتنمو فيه القدرة على الاختيار، هنالك أشياء الإنسان في هذه الدنيا لا يستطيع أن يغيرها وهنالك أشياء يستطيع أن يؤثر فيها ويكتسبها وتُسمى بالأمور المكتسبة، لا أريد أن أبين الآن ما هو مجال اختيار الإنسان لأن هذا باب واسع، إجمالا الإنسان في هذه الدنيا –بعكس مرحلة الحياة الجنينية– يكون صاحب اختيار فهو الذي يصنع ما يحتاجه في الحياة الآخرة، كما أن فترة كون الجنين في بطن أمه كانت فترة مرحلية تمهيدية بحتة، فكل الوسائل مهّدها الله رب العالمين لأنْ هذا الجنين يولد بعدئذ فينمو ويكبر فيصبح ذا اختيار، كذلك الحياة الدنيا هي مرحلة تمهيدية بحتة، هي متاع ووسيلة للحياة الآخرة التي هي الحيوان، فالأشياء التي هيأها الله تبارك وتعالى للإنسان في هذه الدنيا المفروض من الإنسان أن يوجّهها توجيها أخرويا، هو بنفسه يؤهّل نفسه لتلك الحياة الآخرة، في مرحلة الحياة الجنينية كان النظام الذي جعله الله تبارك وتعالى هو الذي كان –رغما عن الجنين– يؤهله للحياة في هذه الدنيا، أما في هذه الحياة الدنيا الإنسان المفروض أن يؤهل نفسه للحياة في الآخرة (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)[٤]، هذا إجمالا

وكما أن الإنسان هنا في مرحلة هذه الحياة يجسّد ما أُعطي في مرحلة الحياة الجنينية في بطن أمه فهناك في الحياة الآخرة الإنسان يُحشر ويحاسب (فَمَنْ يعْمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يرَه . وَمَنْ يعْمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يرَه)[٥]، بهذه الصورة التي ذكرتها وبتفاصيل أخرى هذا هو محور من المحاور الرئيسية للإيمان فمن لم يتصور ولم يعتقد بآخرة كهذه هذا الشخص لا يكون مؤمنا بالآخرة، الناس في تعاملهم مع بعض إنما يتعاملون وفق الظاهر، هكذا هو الشرع، شخص يقول أنا مؤمن بالآخرة –من دون أن تعلم أنت أن هذا الشخص لا يعرف الآخرة ولا يؤمن بها بهذه الصورة– تتعامل معه معاملة المسلم، فهذه الدنيا أساسا ليست دار حساب ودار جزاء وإنما الآخرة هي يوم الدين، حتى أكثر من ذلك إذا أنت ترى إنسانا قطعا لا يؤمن باليوم الآخر يرفض الإيمان بالآخرة في قرارة نفسه لكن لا يُظهر هذا بل يصلي ويصوم فهو يكون في حقيقته منافقا لكنه يُعامل معاملة المسلم حسب الظاهر، فلا يغرنّ المرء أن الشرع يكتفي بهذا فقط، الشرع يكتفي بهذه الصورة لتسيير الأمور

---

[٤] (الإنسان: ٢-٣)

[٥] (الزلزلة: ٧-٨)

ما ذكرته يعبّر عن الصورة المصغرة للإيمان بالآخرة، نحن لابد أن نسعى في اتجاه اليقين بهذه الصورة، من صفات المتقين كما في تلك الرواية –في باب ذم الدنيا والزهد فيها–: (عن أبي جعفر (ع) قال: قال علي بن الحسين (ع) إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة –في أي عمر كنت إذا تدقق في وضعك تجد واقعا أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة– **وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة)**[٦]

الإنسان يسعى ليّتجه في اتجاه اليقين (كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن رأى أهل النار في النار معذبين)، بطبيعة الحال هو يواجه في هذا الطريق أناسا كثيرين لا يهتمون، هو سوف يواجه في هذا الطريق –في طريق اليقين– كثيرا من العقبات لأن الشيطان من داخل النفس يوسوس فيجعل تلك العقبات تصد الإنسان عن سبيل الله، الشيطان أساسا هذا عمله يزيّن في الأرض ليجعل الإنسان يتخلى عن وجه الله فلا يفكّر في الآخرة، أو يحرّف الآخرة التي هي محكم يوضِّح كل شيء في هذه الشجرة العقائدية، يجب أن كل شيء في هذه الشجرة العقائدية يتغذى بهذا الأصل، يعني لون الآخرة يجب أن يكون موجودا في أي ورقة منها وفي أي تصرّف وفي أية فكرة وفي أية مسألة من المسائل التي الإنسان المؤمن يعتقدها ويفكّر فيها، يجب أن هي تحمل صبغة الآخرة بذلك المفهوم الذي ذكرته

لا أريد الآن أن أتحدث عن أن النفس كيف تتحرك إلى اليقين؟ اليقين كيف يحصل في النفس؟ فهنالك حركة طبيعية لابد أن تحصل في النفس حتى يستطيع الإنسان أن يتيقن بالأشياء التي جعلها الله تبارك وتعالى حقيقة[٧]**، الإنسان يحاول ويواجه مصاعب يواجه عقبات، من الداخل الشيطان يمنعه، الإنسان في كثير من الأحيان يغفل عن**

---

[٦] الكافي (٣/٣٤١)

[٧] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت١ – الفكر والإيمان**، فصل (**اليقين والإيقان**...)

هذا الشيطان الذي رُكّز عليه في القرآن الكريم كثيرا، هذا التركيز لأجل أن نشعر بوجود هذا الشيطان، بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ)[٨]، هذا المعنى لابد أن نشعر به، نغفل، الشيطان موجود، الناس يقرأون القرآن الكريم ويقولون (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) قبل قراءته، لكن يقولونها بلسانهم أما الاستعاذة الحقيقية فلا يهتمون بها، من عمل الشيطان الرئيسي إما أن يجعلك لا تؤمن بالآخرة أو يشوّه لك الآخرة بحيث أنها لا تصبغ أفكارك ورؤيتك ولا تصبغ حياتك بصبغة الآخرة، هذا من عمل الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء موجودة متجاوبة مع الشيطان، فهو يعمل عن طريق هذه النفس، ليس للشيطان سلطة على الإنسان إنما هو يدعو الناس فأولياء الشيطان يستجيبون له، هذا الشيطان موجود

هنالك أكثر من ذلك (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ)[٩]، هنالك الكفار ماذا يفعلون؟ يقاتلون في سبيل الطاغوت، القتال ليس دائما ظاهرا بالسيف فحتى قبل غزوة بدر كان هناك قتال بين رسول الله (ص) وبين المشركين، أئمة الضلال كانوا يقاتلون ليصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، كانوا يريدون أن تختفي الآخرة وأن الدنيا هي التي تظهر، لتصبح المقاييس كلها حسب مقاييس الدنيا، أفضل الناس حسب مقاييس الدنيا، أكرم الناس حسب مقاييس الدنيا والآخرة تُهمل، حتى إذا الشخص يؤمن بالآخرة ويعمل أعمالا للآخرة، يدعو للآخرة، يقرأ أدعية للآخرة، يزور القبور للآخرة، يتصدق للآخرة، حتى إذا يبكي في أوقات معينة للآخرة، لا بأس هذا لا يضر إمامة الدنيا، الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لا يتصدون لهذا لأن هذا ليس سبيل الله، سبيل الله هو أن الآخرة تصبح هي الحيوان في الذهن وفي النفس، (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)[١٠]، حينما تصبح الآخرة هي الحيوان فالدنيا تصبح حقيرة صغيرة، خصوصا أن الإنسان المؤمن يرى في هذه الدنيا في كل خطوة من خطواتها لهوا يلهيه عن الاهتمام بالآخرة، فالإنسان

---

(٨) (الناس: ١-٢)

(٩) (إبراهيم: ٣)

(١٠) (الأحزاب: ٤)

المؤمن يشعر بأنه محارب في داخله، المؤمن حريب، أئمة الكفر يزيّنون له الحياة الدنيا لينسى الآخرة أو يجعلونه يتصرف في الآخرة بحيث لا يصطدم ذلك الإيمان مع الدنيا فتتيقن بالآخرة أو لا تتيقن بها لابأس هذا غير مهم!

بطبيعة الحال نفسك لا تستيقن –لا تؤمن– بشيء كدين بلا أن يكون له أثر في حياتك، أي شيء النفس تؤمن به تتقبله ترضى به فالنفس تتأثر به وتحبه ثم تتجه إليه[١١]، هذه هي المشكلة التي نعاني منها وأكثر الناس غافلون لا يعرفون ولا يسعون ولا يبحثون عن الأشياء التي تؤثر على اليقين بالآخرة، ما هي الأشياء التي تمهد لليقين بالآخرة؟ ما هي الأشياء التي تؤهل النفس والذهن للتعامل الصحيح مع الآخرة؟

تلك الآخرة التي يجب أن لا نلهو عنها، تلك الآخرة التي حينما ينقل أن رسول الله (ص) حينما كانت تهب ريح شديدة فكان يتذكر الآخرة فيصفر لونه، تلك الآخرة التي نجدها في حياة أمير المؤمنين (ع) مجسدة في كل حركة وفي كل تصرف من تصرفاته، ينقل أنه (ع) في عهد خلافته كان يمشي في الأسواق ويقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٢]، لابد أن نعرف: ما هي المعوقات؟ من الذي يحاربني لأن لا أوقن بالآخرة؟ ما هي الوسائل التي تجعلني لا أوقن بالآخرة؟ هذا لابد أن نعرفه ولا نغفل عنه، لا بأن نكتفي بسماع حديث أو دعاء في ليلة جمعة من دون أن يؤثر أبدا على هذا المذهب وعلى هذا الطريق!

الإسلام لا يتبنى تمشية الناس ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[١٣] ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١٤]، حتى رسول الله (ص) ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[١٥]، إنما القرآن ذِكر فمن أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا تذكّر بالقرآن، الآيات علائم فالإنسان يستفيد منها ذكرى وعبرة، فكر في هذه المسألة

المسلمين الأوائل في عهد رسول الله (ص)، تلك الفترة التي الإنسان يتمنى يا ليته كان موجودا فيها حتى لو لحظة ثم يؤخذ منه كل شيء، حيث يجد سبيل الله واضحا ودين الله مجسدا، هنالك في تلك المرحلة أناس كثيرون

---

(١١) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٣ – القرآن قرآن**، فصل (**الاستيقان**...)

(١٢) (القصص: ٨٣)

(١٣) (البقرة: ٢٥٦)

(١٤) (يونس: ٩٩)

(١٥) (الغاشية: ٢٢)

من المسلمين كانوا يقاتلون في سبيل الله حتى تزول هذه العوائق عن طريق الآخرة، حتى هذه الدنيا لا تُزيّن، حتى الشيطان يُكبَت، حتى أئمة الدنيا يُثخَنون، حتى يتمكن المؤمن في الأرض وتكون له الخلافة في هذه الدنيا فيوجه الأشياء كلها في وجهة الأئمة (ع)[١٦]، لا فقط مسجده لا فقط قرآنه لا فقط كتبه لا فقط أحاديثه الدينية بل كل شيء في هذه الدنيا، مركبه ولباسه، أمير المؤمنين (ع) –بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين– يُنقل أنه حينما قيل له ألا تنبذ ثوبك المرقع؟ قال: (يخشع له القلب)[١٧]، يعني يذكّر بالآخرة وأن هذه الدنيا ليست هي الحياة

هل حصل في وقت من الأوقات أن أخاك المؤمن ذكّرك بالآخرة؟ مثلا قال لك انتبه إنك ميت، مثلا حينما بنيت بيتك ذكّرك بأنك ميت، يُنقل أن هارون بنى قصرا وأوْلم فهنالك أناس كثيرون أتوا واجتمعوا وكلٌ يمدح هذا القصر، فطلب من أبي العتاهية أن يصف له القصر، فأنشده شعرا يُذكّره بالموت[١٨]، لو صح ما ينقل عن رسول الله (ص): (وإن من الشعر حكمة)[١٩] فهو ينطبق على هذا الشعر، كم وجدت في حياتك أشخاصا يذكرونك بالآخرة؟ مثلا حينما بنيت بيتا، حينما اشتريت ملابس، حينما اشتريت سيارة، حينما تزوجت وأوْلَمت، حينما كنت معجبا بنفسك، في ذلك الحين هل قال لك أحد لا تُعجب بنفسك فإنك ميت، لا يلهينّك شيء عن صراطك وطريقك ودينك، (لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ)[٢٠] المؤمن محارَب، والحمد لله رب العالمين

---

(١٦) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب **هكذا آمنت٤ – الإمامة**، فصل (**ما يجمع الناس ويفرقهم**) وما بعده

(١٧) نهج البلاغة (الحكمة ١٠٣)

(١٨) تاريخ دمشق (٣٠٣/٧٣)

(١٩) البخاري (١٠٧/٧) كتاب الأدب

(٢٠) (آل عمران: ١٩٦)